الفجر

مجلة شهرية
العدد الرابع عشر
صفر ١٤٣٦ - كانون الأول ٢٠١٤

من الربيع المخملي إلى المُفاصلة الجهادية ١٠
ما الذي يحتاجه شعب سورية؟ ١٥
هجرة الموت ١٦
الداعية العالم المربي الشيخ شوكت الجبالي ٢٦

الفجر

العدد الرابع عشر
صفر ١٤٣٦
كانون الأول ٢٠١٤

فريق التحرير

م. حسام غضبان رئيس التحرير
د. عامر غضبان محرر
أسامة السيد عمر محرر
عبد الكريم اليماني محرر
أحمد يحيى الطويل محرر
أسامة الشيدون الطباعة و التوزيع
منى السعيد التسويق الإلكتروني

تصفح المجلة www.alfajrmg.net
تواصل مع المجلة alfajr.mg@gmail.com

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

مجلة شهرية تصدر عن مكتب الشباب
في جماعة الإخوان المسلمين في سورية

المحتوى

٤ الإخوان المسلمون أمام مرحلة جديدة

فريق التحرير

٦ جهاد الفساق والظلمة

محمد عادل فارس وعامر الغضبان

١٠ من الربيع المخملي إلى المُفاصلة الجهادية

محمد بن المختار الشنقيطي

١٥ ما الذي يحتاجه شعب سورية

عبد الله عيسى السلامة

١٦ هجرة الموت

مجاهد ديرانيّة

٢١ باطن راجح

عبد الله الحرستاني

٢٤ حكم استيفاء الحقوق من الأعداء بعد إعطائهم الأمان

هيئة الشام الاسلامية

٢٦ الداعية العالم المربي الشيخ شوكت الجبالي

منتصر الجبالي

٢٩ رواية «فوضى الفصول»

للروائي محمد باقي محمد

٣١ فيسبوك

الإخوان المسلمون

أمام مرحلة جديدة

انتقلت جماعة الإخوان المسلمين إلى قيادة جديدة بعد انتخاب مراقب عام جديد، ولا بد أن يكون لهذا الانتقال انعكاساته على الوضع الداخلي للجماعة، كما أنه قد تم في مرحلة تاريخية حاسمة، بل في عصر جديد بدأ في وطننا وإقليمنا. وعلاقة الإخوان بالشعب السوري علاقة ممتدة عريقة، وللإخوان بين أفراد الشعب مناصرون ومؤيدون، ولهم كذلك ناقدون ومعترضون، بل أعداء ومتربصون، لكن لعلنا نتفق أن كل من يرصد أداء جماعة الإخوان -لثقته بها، أو لتخوفه منها- يتوقع أن لها دوراً كبيراً وحضوراً مؤثراً. ونحن -المتابعين لأداء الجماعة- نتوقع أن تستشعر الجماعة ثقل المسؤولية التي يفرضها عليها هذا الموقع.

ودون أن نطنب في المديح أو نبالغ في النقد، نقول: إن على الجماعة أن تجعل من قوتها قوة لشعب سورية، وإن ما تحققه الجماعة من تطور فكري، أو تماسك تنظيمي، أو نهوض دعوي، أو مكاسب سياسية، أو انتصارات عسكرية، أو حضور اجتماعي.. يجب أن ينعكس أثره -قليلاً كان أو كثيراً- بزيادة عناصر قوة هذا الشعب في معركته الشرسة التي يخوضها الأن.

إن المعركة في سورية تتطلب التضحية، والنصر في هذه المعركة يتطلب حسن القيادة حتى لا تذهب التضحيات هدراً، لذلك لا تكفي تضحيات الأفراد من أبناء هذا الشعب، على عظمها وأثرها، بل نحتاج معها إلى جماعات ومؤسسات تتجرد عن مكاسب المعارك الهامشية، وتقدم إنجازاتها لنصرة وطنها وأمتها حتى لو تنازلت عن بعض مكتسباتها الخاصة. وهذه المطالبة لجماعة الإخوان لا تعني أن تمحو الجماعة خصوصيتها وهويتها، ولا تعني أن تزيل مقوماتها الأساسية التي يقوم بناؤها عليها. لكنها تعني أننا في مرحلة العطاء، وما تحققه أي جماعة من تقدم وثمرات يمكن أن تسهم في نصرة الشعب ونهضة الأمة فهذا وقت تقديمه للأمة، وهذا وقت التلاحم بين الجماعة وعموم الشعب الذي تنتمي إليه، فنصر هذا الشعب تعزيز لوجود الجماعة، وتقوية لفكرتها، وتطوير لفكرها.

ولا ريب أن كل فرد قادر على النصيحة مطالب بنصحية الجماعة، وهذا من النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، ونحن نسعى لإبقاء مجال التناصح مفتوحاً ومنظماً ومنتجاً لعمل صالح يتقبله الله تعالى ويبارك فيه. «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» [التوبة: ١٠٥].

جهاد الفساق والظلمة

محمد عادل فارس وعامر غضبان

يكون جهاد الفساق والظلمة باليد واللسان والقلب لقوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم. فالكلمة واجبة على كل مسلم إن كان بوسعه التكلم، والدعوة واجبة على المسلمين {ولتكُنْ منكم أمَّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...} [سورة آل عمران: ١٠٤]. وقال تعالى: {الذين إن مكَّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة وأَمَروا بالمعروف ونَهَوا عن المنكر...} [سورة الحج: ٤١].

ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما من نبيٍّ بعثَه اللهُ في أمَّةٍ قَبلي إلا كان له مِن أُمّته حواريُّون وأصحابٌ يأخذون بسُنَّته ويَقتَدون بأمره. ثم يأتي من بعدهم خُلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهَدَهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. ليس وراءَ ذلك مِن الإيمان حبّةُ خَردَل» رواه مسلم.

وهذه النصوص تدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفريضة المقصودة بجهاد الفاسقين والظالمين الذين يَظهَرون في الأمّة أو يتمكَّنون فيها، والمقصود من هذه فريضة هو حفظ الأمة في دينها وأعرافها سلوك أفرادها، وقد يكون ذلك بمنع هؤلاء من إفسادهم، أو بإصلاح الخلل الذي تؤدي إليه دعواتُهم المفسدة.

وعندما يتمكَّن المفسدون والظالمون فإن جهادَهم قد يَصِل إلى وجوب خلعهم بفتوى أهل الحل والعقد من علماء الأمة الثقات. ومِن أَولى الظلمة الذين يجب قتالهم الحاكمُ الكافر الذي تسلط على بلد من بلاد المسلمين، والحاكمُ الظالم الذي اتفق أهل الحل والعقد على خلعه، والحاكمُ الذي ارتكب جرائم بحق المسلمين واستباحَ محارمَهم، وجنّد المجرمين لذبح الأطفال وانتهاك الأعراض وهدم المساجد وامتهان كتاب الله تعالى...

متى يجوز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديثُ قد يُفهم منها أن هناك أوقاتاً وحالات يجوز فيها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من هذه الأحاديث حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه الذي جاء فيه: قيل: يا رسول الله، متى نَدَعُ الائتمارَ بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشةُ في كباركم، والملكُ في صغاركم، والعلم في رُذّالكم». أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه، وأخرجه الإمام الطحاوي في «شرح مشكل الآثار بلفظ: «إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفاحشة في شراركم». ومعنى الإدهان: اللِّين والمداهنة مع من لا ينبغي أن يكونَ معه اللِّين، ومن ذلك قول الله عز وجل: «ودوا لو تدهن فيدهنون» القلم: ٩ والسؤال: هل تعني هذه الأحاديث تعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو زوال فرضيتها في عصر من العصور؟ إن الناظر والباحث في نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي آراء العلماء وأبحاثهم حولها يدرك بجلاء أن هذه الفريضة أصل من أصول الإسلام التي يستبعد أن يتوقف وجوبها على الأمة كلها في عصر من العصور. أما ما في هذه الأحاديث فهو إشارة إلى أوقات أو مواضع تهدَّدُ فيها الأمة في قِيَمها وموازينها، إلى درجة قد لا يكون فيها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطريقة التناصح العام والوعظ والإرشاد ثمرةٌ كبيرة، والنصح بالقول والوعظ والإرشاد هو المعنى المتبادر الأكثر وضوحاً من معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لكن وقوع الأمة في هذا الواقع، بما فيه من خلل في الموازين وانحراف في الأعراف، لا يلغي الصور الأخرى الواجبة على الأمة لإصلاح ذاتها، ولا يمنع العاملين المخلصين من بذل جهدهم وجهادهم لإحقاق الحق وبيان طريق إعادة موازين العدل والقسط، في بناء المجتمع، وفي أعرافه وسلوك أفراده. بل لعل هذه الصورَ الأخرى تصبح أوجبَ الواجبات وأصحَّ الطرق لإصلاح الأمة، ليعود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة الإصلاح الدائمة المؤثرة، التي تقع على المؤسسات، ولا تسقط عن الأفراد.

آداب الأمـــر بالمعـــروف والنهـــي عن المنـــكر:

أياً كانت صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لهذا الفعل أحكاماً وآداباً يجب التقيد بها، من أهمها:

أ- أن يكون الآمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر عالماً بحقيقة ما يأمر به من أنه معروف في الشرع، وعالماً بحقيقة المنكر الذي يريد تغييره كذلك.

ب- أن يكون ورعاً لا يأتي الذي ينهى عنه، ولا يترك الذي يأمر به، لقوله تعالى: «يأيها الذين آمَنوا لِمَ تقولون ما لا تفعَلون، كَبُرَ مَقْتاً عند اللهِ أنْ تقولوا ما لا تفعَلون» سورة الصف: ٢، ٣ وأن يوافق قولُه عملَه، وإلا فما قِيمة كلامِه؟! قال تعالى: «أتأمُرون الناسَ بالبرِّ وتَنسَون أنفسَكم وأنتم تَتلُون الكتابَ أفلا تعقلون» سورة البقرة: ٤٤ عن أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلقُ أقْتابُ بَطنه، فيَدُور بها كما يدور الحمار في الرَّحى، فيجتمعُ إليه الناس، فيقولون: يا فلانُ مالَك؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنتُ آمُرُ بالمعروف ولا آتِيه، وأنهى عن المنكرِ وآتيه» متفق عليه.

جـ - أن يكون حسَن الخلُق ليناً يتحمل السوء إذا ناله جرّاء أمرِه أو نهيِه. قال تعالى:«وأْمُر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما أصابك...» سورة لقمان: ١٧ فالداعية المسلم الذي يريد أن يغيِّر المجتمع إلى الأفضل لا بدَّ أن يواجه المحنة والابتلاء، وأن يصبرَ لله على أذى الناس له. وليعلمْ أن كلَّ مَن سلك طريقَه من الأنبياء والصالحين تعرض للأذى الكثير. وهذا الأذى والابتلاء سنة الله فيمن يدعي الإيمان والعمل لله عز وجل. قال تعالى:«ألم.أحَسِبَ الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يُفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فلَيعلمَنَّ اللهُ الذين صدَقوا ولَيعلمَنَّ الكاذِبين» سورة العنكبوت: ١، ٢

وكما يُطلب من الناصح (الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر) أن يكون رفيقاً ليناً دمثاً.. يُطلب من المنصوح أن يوطِّن نفسه على قَبول النصح والأمر والنهي، ولا تأخذه العزة بالإثم، والانتصار للنفس، فيرد النصيحة بحجة أنها لم تأتِه بأسلوبٍ حسن، أو بحجة أن الناصحَ غيرُ ملتزم بما يدعو إليه.. بل ينبغي أن ينظر في موضوع ما يُدعى إليه ويُنصح به، فإن كان خيراً أخذ به، أياً كان الناصح، وأياً كان أسلوب النصح... بل ينبغي أن يشكر للناصح جهدَه.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

من الربيع المخملي إلى المفاصلة الجهادية

محمد بن المختار الشنقيطي
نقلا عن موقع الجزيرة نت

يدل استقراء تاريخ عدد من الحضارات على أن روح البطولة والشهادة مؤشر على ميلاد حضارة جديدة. فإذا رأيت أمة تبذل الشهداء بسخاءٍ فاعلم أنها في فجْر حضارتها، وإذا رأيت أمة تبخل بالشهداء فاعلم أن حضارتها في إدبار. وهذا الذي يطَمْئن على مآلات الربيع العربي.

ولو أننا أردنا أن نصوغ نظرية في ميلاد الحضارات فلن نجد معيارا أدقَّ من معيار السخاء بالشهداء. وقد وُلدت الحضارة الإسلامية في بطحاء بدر، وعلى سفح أحُد، أما العلوم والفنون التي ازدهرت فيما بعدُ في ربوع بغداد ودمشق وقرطبة وسمرقند.. فهي ثمار تلك البذرة التي روَّتها دماء شهداء بدر وأحُد، لا روحُها النابضة. فالشهداء عملة صعبة نادرة في التاريخ، وهم ضرورة لتسوية النتوءات القبيحة في حياة الأمم، وفتْح الثغرات في الطريق المسدود أمام ميلاد حضارتها. بل يمكن القول إن الحضارة يشق طريقَها الشهداءُ الذين يُعطون ولا يأخذون، ويضع أسُسَها العلماء الذي يعطون ويأخذون، ويفرِّط فيها الأمراء الذين يأخذون ولا يُعطون.

وما يميز حروب الشهداء هو أنها حروب حول معنى الحياة، وموازين العدل والظلم، ومعايير الخير والشر، وليست حروباً من أجل المكاسب المادية، فلم يكن طالب الخلود قط حريصا على مغانم فانية. وربما كان ذاك ما قصده الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي إذ كتب « إن الأبطال لا يقاتلون من أجل البقاء، بل في سبيل الخلود». وهذا النمط من الحروب حول معنى الحياة هو الذي يغيِّر وجه الحياة بخلاف الحروب على المكاسب المادية مهما كانت شرسة. فغزوات بدر وأحُد والخندق في العصر النبوي لم تكن -بمعايير التاريخ العسكري- سوى مناوشات بسيطة بين جيوش صغيرة في صحراءَ جرداءَ.. لكنها بموازين تاريخ الحضارة حروبٌ غيرتْ وجه الأرض ومسار التاريخ

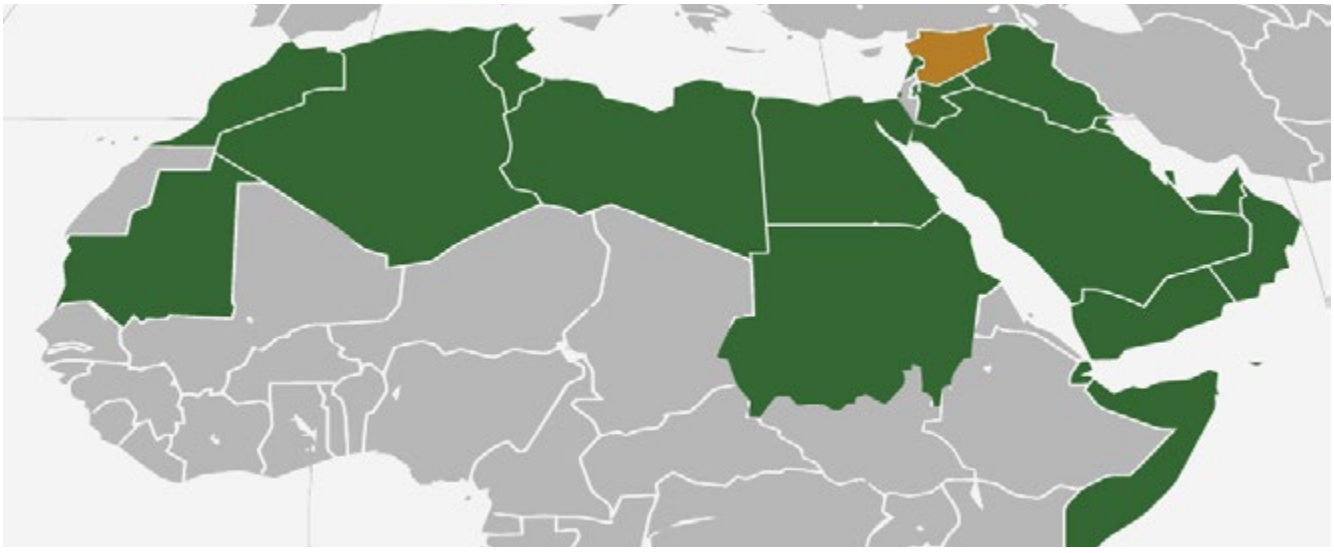

واللافت أن من أكثر الأحاديث النبوية وروداً على ألسنة الناس منذ مطلع الربيع العربي قولَ الرسول صلى الله عليه وسلم «سيِّدُ الشهداء عند الله حمزة بن عبد المطلب ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله» (رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب). وقد تحوَّل الفقه السياسي الإسلامي -مع بزوغ الربيع العربي- من فقه يتحكَّم فيه خوفُ الفتنة وتسويغ الاستبداد إلى فكر يسوِّغ الثورة، ويجرد الاستبداد من كل شرعية دينية أو أخلاقية. وهذا تطورٌ في تاريخ الأفكار له ما بعده في مسار التاريخ السياسي الإسلامي. **فالجهاد الذي تفجَّر مع الربيع العربي إحياء لمذهب السلف القديم في الخروج على حكام الجور الخارجين على الأمة، وتحررٌ من ركام البدع السياسية التي تسوِّغ الخضوع للظلم والخنوع للضيم. فنحن أمام تحول فقهي عميق يرى -بحق- أن القتال من أجل الحرية واجب شرعي وحق إنساني، ويعد -بحق- أن الذين يقاتلون الطغاة في بلداننا اليوم سائرون على خطى سيد الشهداء حمزة.**

وهذا فقهٌ يُحيي القيم السياسية الإسلامية التي وقع عليها الحيف التاريخي، ويستجيب لمستوى النضج الأخلاقي والإنساني الذي وصلت إليه البشرية. وليس من ريبٍ أن الربيع العربي سيدخل كتب التاريخ باعتباره من أعظم ثورات البشرية، لأن نتائجه ستكون تركيباً من الحرية في الداخل والتحرر من الخارج. بل إنه أكبر من ثورة سياسية. إنه ثورة على كل الأطر العتيقة التي عجزت عن استيعاب حركة الحياة في مجتمعاتنا، وستعبِّر هذه الثورة الجارفة عن روحها تعبيراً كاملاً في المستقبل: فقهاً جديداً، وفكراً جديداً، وقيَماً جديدة، تتمحور حول الإعلاء من إنسانية الإنسان، ونبذ الهمجية التي تمتهن الكرامة الإنسانية. بَيدَ أن الربيعَ الذي بدأ مخملياً، سرعان ما تلفَّع بلون شقائق النعمان، لونِ الدم القاني، وهذا أمر يستثقله اليوم من استرخصوا ثمن الحرية ابتداءً، ويستغربه من قاسُوا مجتمعاتنا على مجتمعات أخرى لا تعاني ما نعانيه من تراكم الاستبداد، ونفوذ القوى الدولية، وانشطار الهوية الثقافية، لكن هذا التحول من المسارات السلمية إلى المواجهات

العسكرية -على فداحة ثمنه- دليلٌ بليغٌ على أن الربيع العربي مُحمَّل بمعاني التصميم والتحدي الوجودي، وليس مجرد مهرجان سياسي مخملي.لقد أردناه ربيعاً مخملياً، وأراده الله مفاصلة جهادية، والذي أراد الله خير. ولنا فيمن سبق سلفٌ من الصحابة الكرام ودُّوا يوم بدرٍ لقاء العِير، وأراد الله لهم لقاء النفير، إظهاراً لنصاعة الحق، وقطعاً لدابر الباطل، وتمييزاً للصفوف، ونكاية بالمجرمين، « وإذ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدى الطائفتَين أنَّها لكم وتَوَدُّون أنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوكة تكونُ لكم ويُريدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الحقَّ بكلماته ويَقطَعَ دابِرَ الكافرين، ليُحِقَّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطلَ ولو كَرِهَ المجرمون»

سورة الأنفال، الآية ٧ ٨

لم يتحول الربيع العربي من الاحتجاج السلمي إلى المفاصلة الجهادية بقرار سياسي من الثوار، ولا بفتوى فقهية من العلماء، وإنما جاء ذلك التحول نتيجةً طبيعيةً للديناميكية الاجتماعية. فللجسد الاجتماعي قدرته على الصبر التحمل، كما للجسد الفردي قدرته على ذلك. وحينما تصل فاشية المستبد حدًّا لا يطاق ينفجر المجتمع انفجاراً عفوياً، وتضطر القوى السياسية والنخب الفكرية إلى مسايرة ذلك التحول على تردٍ ابتداءً، ثم بكامل إرادتها انتهاءً.

لقد وصل الاستبداد والفساد في بعض الدول العربية حدًّا جعلها بحاجة إلى الغسْل سبعاً، سابعتُها بالدماء، لكي تسترد شيئاً من كرامتها وإنسانيتها.

فالصرح العربي المتهاوي ما كان ينفعه الترميم، وكان لا بد من إعادة بنائه من القواعد، لذلك انفجرت المجتمعات العربية ثورات عاتية. وما كان الحق ليَحِقَّ ناصع البياض، وما كان للزيف لينكشف وجهُه القبيح، لولا أن الثورة واجهتْها ثورةٌ مضادة، فقدَّم الشهداء أرواحَهم، وسطّروا قصة الحق بالحبر الأحمر المتفجر من شرايين القلوب. والذي يرى اليوم همجية الأسد والسيسي في قمعهما للشعبين السوري والمصري، وهمجية القذافي في قمعه للشعب الليبي من قبلُ، يدرك أن المفاصلة بين الشعوب العربية وطغاتِها الرافضين للإصلاح السلمي حربُ وجودٍ لا حرب حدود. وهي -شأنها شأنُ أي حرب وجودية- لا مجال فيها للحلول الوسط أو التلاقي في منتصف الطريق مع السفاحين الوالغين في الدماء الزكية. إن للحرية ثمناً، وللكرامة مهراً، وما أنزل الله تعالى في كتابه آيات الجهاد المتضافرة، ووعد الشهداء بأعلى المقامات، إلا لأنهم هم من يبذلون في هذه الحياة ولا يأخذون، ويُضحُّون بأرواحهم محتسبين، لينتصر الحق، ويعم الخير، ويتحقق العدل الذي هو أمُّ الفضائل ورأس القيم، ومن أجل تحقيقه بعث الله الرسل وأنزل الكتب «لقد أرْسَلنا رُسُلَنا بالبينات وأنْزَلنا معهم الكتابَ والمِيزانَ ليقُومَ الناسُ بالقِسط» سورة الحديد، الآية ٢٥ وإذا كانت كل روح تُزهق من غير حق مما يُحزن القلب، ويُدمي العين، فإن عزاءنا أن الموت في سبيل الله حياة، وأن الدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان مروءة، وأن الشهادة تمحيصٌ للصفوف، وتشريفٌ للأحرار، ومقتٌ للظالمين «ولِيَعلَمَ اللهُ الذين آمنوا ويَتَّخِذَ منكم شهداءَ واللهُ لا يُحب الظالمين» آل عمران، الآية ١٤٠ لم يعدْ لدى الشعوب العربية ما تخسره. فمهما يكن ثمن الحرية الذي تدفعه اليوم، فهو أقل من ثمن الاستبداد الذي تعيش تحت وطأته.. وكأنما تصرخ أمتنا ذات المعصم الدامي في وجه جلاديها ببيتيْ شاعر مصر الطبيب الأديب إبراهيم ناجي:

أَعطِني حرِّيَّتي أَطلِق يَدَيَّا / إنني أعطَيتُ ما استبقَيْتُ شيَّا

آهِ مِن قَيدِك أدْمَى مِعْصَمي / لِمَ أُبقِيهِ وما أَبقَى عليَّا؟

لقد تواطأتْ أطرافٌ عديدة بالفعل وبالتَّرك على تدمير سوريا وعلى إشعال مصر وإشغالها، تنفيرا للشعوب من الثورة على الظلم والسعي إلى الحرية. وإذا كان تواطؤ الروس ظاهراً بسبب ما أُوتوا من عُنْجُهِيّة، فإن التواطؤ الأميركي من النوع الخفيِّ المراوغ. ولعل أبلغَ تصوير للموقف الأميركي هو ما كتبه إدوارد لوتواكْ -وهو منظِّر إستراتيجي أميركي يهودي- يوم ٢٤ أغسطس/آب ٢٠١٣ في صحيفة نيويورك تايمز، ففي مقال بعنوان (في سوريا: ستخسر أميركا إذا كسبَ أيٌّ من الأطراف) كتب لوتواك «إن الاستنزاف الطويل الأمد في هذه المرحلة من الصراع هو المسار الوحيد الذي لا يضرُّ المصالح الأميركية»، وختم بنصيحة لصانع القرار الأميركي قال فيها «سلِّحوا المتمردين كلما بدا أن قوات السيد الأسد في صعود، وأوقِفوا دعمهم كلما بدا أنهم سيكسبون المعركة». ولم يكن لوتواكْ مجردَ ناصحٍ للإدارة الأميركية ومنظِّرٍ لها، بل هو يؤكد في مقاله -مُحقاً- أن ما أوصى به هو واقع الموقف الأميركي في سوريا. وهو -قبل كل ذلك- يعبر عن الرؤية الإسرائيلية الساعية إلى تهشيم كل ما تملكه دول الطوق العربية من قوة قبل أن تمسك الشعوب بزِمام أمرِها في تلك الدول، حتى إذا سقَطَ المستبِدُّ الحامي لحدود الدولة العِبرية بقيت الشعوب تلعق جراحها لعقود. وتطبيقاً لهذه الرؤية تشجع

أميركا حلفاءها العرب والأتراك على دعم الثوار السوريين، ثم تستخدم نفوذها السياسي وتضع خبراءها العسكريين على الحدود السورية لضمان بقاء هذا الدعم العسكري ضمن حدود المعادلة الجهنَّمية التي رسمها لوتواك.. حدودِ الحرب الأهلية الدائمة التي لا غالب فيها ولا مغلوب. وللخروج من هذه المعادلة الجهنمية تحتاج الشعوب عزماً وتصميماً، وتضحية وإصراراً، وتوكُّلاً وتجرُّداً، ورصّاً للصفوف، ومنابذة للظالمين دون هوادة. فهذه لحظة من اللحظات التي يكون فيها التاريخ على مفترق الطريق، مثل تلك اللحظة التي واجهها جيش طارق بن زياد على ضفاف المتوسط. فقد نقل المقَري في كتابه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) خطبة لطارق في جيشه، وهو يُعدُّ العدة للمعركة الفاصلة، فكان مما قال فيها «أيها الناس: أين المفر؟ البحرُ من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الأيتام في مأدُبة اللئام، وقد استقبلَكم عدوكم بجيوشه وأسلحته، وأقواتُه موفورة. وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفُكم، ولا أقواتَ لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوِّكم. وإن امتدَّت بكم الأيامُ على افتقاركم، ولم تُنجزوا لكم أمراً، ذهبَت رِيحُكم، وتعوَّضت القلوب عن رُعبها منكم الجرأةَ عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خِذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقتْ به إليكم مدينتُه الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لمُمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت». فما أجدرَ الشعوبَ الثائرةَ على الظالمين اليوم بتأمِّل معنى هذه الخطبة ومغزاها، والتشبع بروح الصدق والصبر التي أوصى بها طارقُ بنُ زياد جيشَه. فأهمُّ ما تحتاجه هذه الشعوب اليوم هو التمسكُ بمنهج الصبر والمصابرة، والتَّشَبُّثُ بالأمل وطول النفَس، والإيمانُ بأن مع العُسر يُسراً. فلم يكن الجهادُ من أجل الحق والعدل قطُّ جَولةً واحدة،ولم يكن ثمنه قطُّ من ضريبة الدم رخيصاً. ولكي تكون لضريبة الدم قيمتُها، لا يجوز هدْرُها في مواجهات عبثية، أو معارك جانبية وضع العدو خريطتها، وحدَّد مسيرتها.وإذا كانت بعض الجماعات الجهادية قد أساءت التسديد وأساءت التصرف، فإن تلك الجماعات العدمية ستبقى ظاهرة هامشية ورمية طائشة في المعركة الفاصلة بين الشعوب الحرة وحكام الجور. وليس البديل عن الفوضى الجهادية التي سببتها تلك الجماعات هو الطعن في الجهاد الذي هو ذروة سَنام الإسلام، أو في المجاهدين الذين هم درع الأمة وحصنها الحصين، وإنما البديل هو الجهاد على بصيرة، جهاد منضبط بأخلاق الإسلام في الحرب، متمعن في محيطه وسياقه، مدرك لرسالته السياسية، حريص على شرعية وسائله ونبل غاياته، يقاتل أهله لرفع الظلم، لا لاستبدال ظالم بظالم، ويناضلون لتحرير الشعوب، لا للتحكم في الشعوب. إن قوى الثورة المضادة وظهيرُها الإقليمي والدولي يراهنان على تحويل سوريا ومصر إلى مقبرة لحُلْم الحرية والتحرر الذي تفتَّق في البلاد العربية بعد طول كبت وتأخير. وتسعى هذه القوى الظلامية إلى رفع ثمن الحرية من الدماء والأموال، وتأجيلها لأمد طويل، حتى تملَّ الشعوب الفوضى والاقتتال المصاحب لكل الثورات، وترضى بالعودة إلى نِير الاستبداد الداخلي والاستعباد الخارجي. لكن هيهات أن تذبل جذوة الأمل، ومَعاذ الله أن يخذُلَ اللهُ الربيعَ العربي بعد أن تروَّى بدماء الشهداء، فتفتَّقتْ منه شقائقُ النعمان حمراء قانية.

ما الذي يحتاجه شعب سوريـــة ؟

عبد الله عيسى السلامة

الرجال وهم اليوم كثر بحمد الله، لكنهم مبعثرون، يحتاجون قيادة تجمعهم، وتنسّق بين جهودهم، وتصبّها في اتجاه الهدف: تحرير سورية من الظلم.

المـــال كثير، لكنه منهوب، مسروق، موزّع في أيد شتى، منها ما هو نظيف، وكثير منها ملوّث. والمال كذلك يحتاج إلى القيادة القويّة الأمينة!

الأرض التي يتحرّك فيها الثوار واسعة، في طول البلاد وعرضها، وتحتاج إلى القيادة القويّة الأمينة ذاتها، لزراعة العناصر المؤهّلة الجادّة المخلصة؛ ليلفّ كل منها حوله المخلصين من رجال سورية، فيحرّك كلٌّ منهم مَن حوله، في اتجاه الهدف.

السلاح موجود، وكثير في أيد ي الناس، لكنه موزّع بين قوى مختلفة، بعضها مخلص، وكثير منها يتاجر بالسلاح كما يتاجر بدماء أهله، لمكاسب خاصّة، أو ارتباطات خاصّة. ويحتاج إلى القيادة القويّة الأمينة ذاتها!

القضيّة التي تحرّك الناس وتحفزهم إلى العمل قضيّة مقدّسة، وشعاراتها تزلزل الجبال: (إنقاذ شعب سورية، من محنته الرهيبة، تحت راية لا إله إلا الله)، هي الشعارات التي يرفعها ثوار سورية المقاتلون جميعاً. وهذه القضية تحتاج إلى القيادة ،القويّة الأمينة، ذاتها، لحشد طاقات الشعب تحتها، وقيادتها نحو الهدف المقدّس المنشود.

فأين هي القيادة القويّة الأمينة، التي لاتلتمس لنفسها الأعذار عن تقصيرها، أو تفريطها، أو عجزها، أو جهلها! ولا تقول للناس: «عملنا لكم كل ما نستطيع، وليس في الإمكان أبدع ممّا كان؛ فنحن محكومون بظروف قاهرة، لاتسمح لنا بأن نفعل أكثر ممّا فعلنا. ولوجاءت أيّة قيادة غيرنا ، لن تفعل أكثر ممّا فعلنا» فتضيف هذه القيادة الفذّة، إلى عجزها عن الفعل، عجزها عن إدراك أبسط حقائق التاريخ، وأبسط معطيات الواقع! فتاريخ أيّة أمّة، يشترك في صناعته العمالقة والأقزام، بوجود الشعب نفسه، والإمكانات ذاتها؛ فيوظف العملاق طاقات شعبه في خدمة هدفه، ويوظف القزم هذه الطاقات لخدمة ذاته، ويبعثر ما لا يستطيع توظيفه منها، بحجج مختلفة، وذرائع شتّى! فهل ينتظر شعب سورية المهدي ليقوده !؟ أم يجب أن يبحث لنفسه، عن قيادة، مخلصة قويّة أمينة؟!

هجرة الموت

مجاهد ديرانيّة

لا أستطيع أن أنسى تلك المشاهد: جثث الغرقى منثورة على رمال الشاطئ، طفلة صغيرة ميتة رفعوها عن الأرض فتهدّلَت ككيس من قطن، صورة طفل رضيع لم يعرف أحدٌ مصيرَه، فبحث أبواه عنه يومين ثم أيِسَا من العثور عليه، فانطلقا إلى دول الشمال وما يعرفان: أيخلّفان وراءهما مَيْتاً فيُرثَى أم حياً فيُرجَى؟!

ما حملكم على ذلك يا أحرار سوريا؟ لماذا أتعبتم قلوبنا فحمّلتمونا هَمّاً فوق هَمّ، وزدتم الألم ونثرتم الملح على الجراح؟ أفرارٌ من قدَر إلى قدَر؟ وما أدراكم أنكم في بلدكم بين أهليكم أكثرُ أماناً منكم في لُجّ البحر؟ أيُّ يومـيَّ من الموت أفِـرّ؟

يومَ لا يُقدَرُ، أو يومَ قُدِرْ؟

يومَ لا يُقدَرُ لا أحذرُهُ

ومن المَقدور لا ينجو الحَذِرْ

ما الذي يدفع السوريين إلى الهجرة بقوارب الموت وهم يعلمون ما يكتنف تلك الرحلةَ من أهوال وأخطار؟ إنما هما سببان: خوف من واقع حاضر، أو رغبة في حياة أفضل. لو طوّفنا في سوريا كلها من أدناها إلى أقصاها فلن نجد مساحة آمنة، ولا شبراً في شبر، فقد أحال النظام المجرم حياةَ السورين جميعاً إلى خوف، خوف من الموت بالقصف في المناطق المحررة، ومن الجوعوالمرض في المناطق المحاصرة، ومن الاعتقال والتعذيب في المناطق المحتلة، فثَمّ لم يجد كثيرٌ من السوريين إلا الفرارَ بأنفسهم وأولادهم إلى بلاد الحرية والأمان. هل يُلامون؟

لا نستطيع أن نلوم من يعيش في عين الخطر فيصبح ويُمسي على رائحة الموت إذا فكر في الهجرة والفرار. ليس لومُ أولئك المعذَّبين حقاًلي ولا لأمثالي من الآمنين، ولكن النصيحة حق للأخ على أخيه، فما يمكن أن نقدمه هو رأي ونصح لا عتاب وتثريب. من كان يعيش في المناطق المحتلة في خطر حقيقي، كأن يكون ناشطاً مكشوفاً مطلوباً بالاسم، فإن هجرته مبرَّرة، بل إنها واجبة، وهو يطالَب بالخروج من منطقة الخطر حفاظاً على نفسه لأنه سيُعتقَل عاجلاً أو آجلاً. ولكنا لن ننصحه أبداً بركوب البحر والهجرة إلى البلد البعيد، بل سنقول إن هجرته واجبةٌ ابتداءً إلى المناطق المحررة، ففيها يبتعد عن الخطر ويصبح في أمان نسبي ويستطيع مواصلة نشاطه الثوري وهو وسط أهله وذويه. لكن ماذا لو أنه تعب أو يئس وأراد التقاعدَ والانسحابَ من الثورة والهجرةَ من سوريا كلها، أنستطيع منعه؟ لا، ولا نستطيع كذلك منع سواه من الذين يريدون الهجرة بحثاً عن حياة مادية أفضل، ولكننا ننصح الاثنين قائلين: إذا كنت عازماً على الهجرة ولا بدّ فلماذا لا تهاجر إلى بلد قريب؟ إنك -لو فعلت- لن تركب البحر وتخاطر بنفسك وزوجك

وبنيك، وسوف تعيش مكرّماً في بلد آمن قد تجد فيه فرصة للعمل والاستقرار وتعليم الأولاد، وستظل قريباً من سوريا فتعود إليها ولو في زيارات متقطعة بين حين وحين، وإن كنت راغباً بالمساهمة في النشاط الثوري فلعل ذلك يمكنك من مهجرك.

تخبرنا الإحصاءات التي نشرتها منظمة الهجرة الدولية أن الضحايا الموثقين للهجرات غير الشرعية بقوارب الموت في البحر المتوسط بلغوا ثلاثة آلاف في النصف الأول من هذا العام، أي أنهم سيبلغون ستة آلاف إذا بقي معدل الهجرة كما هو الآن. فإذا عرفنا أن هذا المعدل في ازدياد أسبوعاً بعد أسبوع، وليس شهراً بعد شهر، وأن رحلات كثيرة لا يمكن تَعَقُّبها ومعرفةُ مصير ركابها بسبب الطبيعة السرية للهجرة غير الشرعية، فإننا نستطيع أن نقدّر عدد الضحايا خلال هذه السنة بعشرة آلاف غريق على الأقل. عندما نقيس هذا العدد إلى عدد الذين نجحوا في الوصول إلى البر الأوربي في عام كامل، وهم مئة وثلاثون ألفاً، فسوف نكتشف أن نسبة الخطر تبلغ ثمانية في المئة تقريباً. أي أن ثمانين سوف يموتون غرقاً من كل ألف مهاجر. هل فكر أحدٌ من المهاجرين في مقارنة هذه النسبة بنسبة الخطر في المناطق المحررة التي تتعرض للقصف اليومي؟ إننا نفقد نحو عشرين ألف شهيد بسبب كل أنواع القصف العشوائي على المناطق المدنية في عام كامل تقريباً، ويبلغ عدد الذين يعيشون في تلك المناطق قرابة عشرة ملايين، أي أن اثنين من كل ألف مدني سيموتون بالقصف في المناطق المحررة في سوريا في سنة كاملة.

النتيجة الصادمة: إن الحياة عاماً كاملاً في المناطق الخطيرة في سوريا أكثرُ أماناً بأربعين ضعفاً من رحلة واحدة في قوارب الموت.

لو اقتصر الخطر على النفس لقلنا للمهاجر: خاطر بنفسك إن شئت. ولكن أولئك المهاجرين لا يخاطرون بأنفسهم فحسب؛ إنهم يخاطرون بأطفالهم الصغار الذين ابتلع البحر منهم إلى اليوم مئات ومئات ومئات. كيف يطيب لأبوَين أن يركبا مع طفلهما مركباً من تلك المراكب وهما يعلمان أن الاحتمال كبير بأن يصلا إلى الطرف الثاني من البحر بلا طفل أو يصل الطفلُ بلا أبوين؟

ولا تظنوا أن المخاطرة تقتصر على الغرق وحده.

يا من عزمتم على الهجرة، بل إن الخطر أكبر من ذلك بكثير. في بعض الرحلات فصل المهرّبون بين الرجال والنساء وساقوا كلاً منهم إلى جهة، ثم اعتدوا على بعض النساء أو اختطفوا فتيات لم يُعرَف مصيرهنّ إلى اليوم. وفي رحلات كثيرة جرّدوا المهاجرين من كل ما يملكون، من الأموال والحليّ وأجهزة الاتصالات والوثائق الشخصية. وفي رحلات أخرى سلّموا المهاجرين لعصابات إيطالية أو يونانية، وانتهت بعض الرحلات بإغراق المراكب عمداً فمات مَن مات وأنقذت سفنُ الإنقاذ آخرين، وفي مرة من المرات قذف المهربون المهاجرين على جزيرة صغيرة مقابل البر التركي وتركوهم بلا طعام. ليست الرحلة في قوارب الموت مغامرة كأي مغامرة، إنها مخاطرة بالنفس والنفيس، إنها مقامرة بالأرواح والأولاد. أيقامر عاقلٌ بنفسه أو بزوجته أو بأطفاله على طاولة قِمار؟ إن المهاجرين يُسْلمون أنفسهم، الرجال والنساء والأطفال، للقراصنة والمهرّبين. ومَن هؤلاء المهرّبون؟ أهم خيرة خلق الله في الأرض؟ إنما هم عصابات من شِرار الخلق، يُسْلم المهاجرون لهم أنفسَهم وهم ضُعُف عُزْلٌ من أي سلاح، والمهرّبون والقراصنة أقوياء مسلحون، فكيف تطيب نفسك يا -أيها السوري الحر- بأن تضع نفسك وزوجتك وأبناءك وبناتك تحت رحمة من لا يؤتمَن على نفسٍ ولا عِرضٍ ولا مال؟فإذا صاروا في البحر بدأت رحلة الأهوال والأخطار. يحشر أولئك القراصنة والمهربون المئات من المهاجرين المساكين في قوارب بالية متهالكة لا يكاد الواحد منها يحتمل -وهو جديدٌ- مئةً من الناس، فكيف يقطع وهو صدئ قديم ممتلئ بأضعاف ما يحتمله من عدد، كيف يقطع وهو كذلك الرحلةَ وسط الموج الهادر الذي يبلغ ارتفاعُه في بعض الأحيان أربعةَ أمتار أو خمسة أمتار؟ تخيلوا قارباً من تلك القوارب التي نراها في الصور وقد تكدس فيه الرجال والنساء والأطفال كما يتكدس سمك السردين في العلب، تخيّلوه وهو يرتقي موجةً ارتفاعُها كارتفاع بناء من طابق أو طابقين! كم تبلغ فرصة مثل هذا القارب بالنجاة؟

لذلك لم يكن غريباً أن يغرق قارب من كل خمسة، وأن يهلك واحد من كل تسعة من المهاجرين التعساء! فإذا وصل المهاجرون إلى البرّ الأوربي استقبلتهم مصاعبُ ومتاعب لا تُحصَى، فيتعرض كثيرون منهم إلى الإهانة

والاعتقال، وربما أُعيدوا إلى حيث كانوا. وما يزال المئات من السوريين عالقين في السجون في مالطا منذ عام. ويبقى بعد ذلك كله الخطرُ الأكبر على المدى الطويل: إن الذاهبين إلى تلك البلاد قلّما يعودون. إنه ليس قراراً ليومك وغدك يا أيها المهاجر، إنما هو قرار لبَنيك وحَفَدتك وذريتك من بعد. يقولون إن في الأمريكتين عشرة ملايين سوري. من أين جاؤوا؟ إنما هم ثمرة هجرات أهل الشام خلال النصف الأول من القرن المنصرم، من أيام "سفر برلك" وما تلاها من أيام شِداد، ولكن ماذا بقي اليومَ من شاميّة أولئك الشاميين وعربية أولئك العرب وإسلام مَن كان منهم من المسلمين؟ لقد فقدت بلادُ الشام أولئك الملايين من أبنائها إلى الأبد، وفقدوا هم وأولادُهم إلى الأبد اللغةَ والدين. لا تستهينوا بتحدّي الحفاظ على الهُويّة في بلاد المهجر، فإن قليلاً من الناس من يستطيع تجاوز هذا الاختبار العسير بنجاح. لا أقول إن كل مهاجر يضيّع اللغة والدين، بل إنّ من المهاجرين مَن ينشأ أولادُه أحسنَ عربيةً وأكثرَ التزاماً بالدين من الملايين الذين يعيشون في بلدان العرب والمسلمين، ولكني أتحدث عن الحالة العامة والقاعدة الغالبة، وهي أن الأكثرين يَضيعون؛ إن لم يضع الجيل الثاني ضاع الثالث، وإنْ سَلِمَ الثالثُ ضاع الذي بعده، وما يزال الخطر قائماً على الدوام في الآتي من الأيام.

كلمة أخيرة إلى من عزم على الهجرة فبحث عن المهربين أو وصل إليهم واتفق معهم ودفع إليهم المال، ثم قرأ هذه المقالة فلم تنجح في إقناعه بالعدول عن فكرته، أقول له: إن كنت لا بدّ فاعلاً فإني أذكّرك بأن أولادك أمانة في عنقك، وإني أستحلفك بالله أن لا تغمض عينيك وتمشي مع المهرّبين كالمسحور بلا عقل ولا إدراك. انسحبْ في أي لحظة تشعر فيها بالخطر. إذا طلب المهربون فصل الصغار عن الكبار أو النساء عن الرجال فلا ترضخ ولا تسمح لبقية الجماعة بالرضوخ. إذا غيّر المهربون الاتفاق فطلبوا المزيد من المال فلا تدفع، فإنه استنزاف ليست له نهاية. إذا وصلتَ إلى الشاطئ فرأيت قارباً عتيقاً مهترئاً فارجع ولا تركب، وحُثّ غيرك على الرجوع. لا تشارك في رحلة لا توزع سترات نجاة على جميع الركاب. إذا أراد المهربون رصّ العدد الكبير في القارب الصغير فثُرْ عليهم أنت وأصحابك وارفض أن تركب أو تُركب أطفالك، فإن هذا سيكون خطّ دفاعك الأخير وتلك آخر طلقة في جعبتك، وهي قد تكون الفيصلَ بين الموت والحياة. أخيراً فإني أرجوك أن تجعل لآخرتك نصيباً من نيّتك. مهما يكن الدافع الذي دفعك إلى الهجرة أضف إليه نيّة صالحة، رغبة وعزيمة على المحافظة على دينك ودين أولادك، وعهداً على أن لا تنسى بلدك وثورتك، فتعمل من أجلهما وتقدّم ما يسعك تقديمه لهما حيثما كنت، غداً وبعد غد وفي كل حين

باطن راجح

عبد الله الحرستاني

«**طوبى** لعبدٍ آخِذ بعِنان فرسه في سبيل الله، أشعثَ أَغبر، مغبرّة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقة، كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شفع لم يُشفع» رواه البخاري.

هذا ما قاله نبينا وقائدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الصفوة المميزة من عباد الله. يتميز أولئك العباد أن عملهم واجتهادهم مستور من أعين الخلق، بل شخصهم بعيد جداً عن ساحة التأثير، وحضورهم وعدم حضورهم سيان، لا يلتفت إليه أحد.

إن ظروف حياتهم البعيدة جعلت منهم أناسا ثانويين (بنظر الناس)، بالرغم من اجتهادهم في مهامهم الموكلة إليهم، وعدم التفريط بها. إنهم مخلصون محبون، بل إن بُعدهم عن واجهة الأحداث إلى الصف الثالث والرابع جعل الناس يستهينون بآرائهم.. أساسا هم مستبعدون، ولكنك إذا جلست إلى أحدهم تسمع كلامه علك تقرأ أفكاره، أصابتك الدهشة من رجاحة في العقل، ووصول للقلب، مع بساطة في اللفظ والبيان.

هو لا يجيد صياغة العبارات كما تجيدها أنت، بل غالباً تسبق عَبَراته عباراته، فينطق بكلمة أو كلمتين يتجاوز بهما الحدود الدنيا لهذه الحياة، محلقاً في ملكوت الله سبحانه.. لن تفهم عشقَه وتعلقَه ورجاءه وصدق

توكله على الغني الحميد، أغناه الله ورفع شأنه، واختصه من بين عباده. تجده عند ذكر حبيبه سبحانه وتعالى يبتعد ويبتعد عن الخلق والآثار والصور خشية دخول شريك يفسد عليه صلته بحبيبه، وإذا أراد تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى فإنه يفعل ذلك في الخفاء، حتى يئست منه نفسُه، فخضعت لحبه.

كان حدَّاءً بسيطاً، خرج مع الجيش الإسلامي بقيادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في الأيام الأخيرة من محرم من السنة السابعة للهجرة، كان الوقت ليلاً، كل شيء هادئ، لا تمل من النظر إلى السماء وأنت تسير وسط مساحات واسعة من البراري والفيافي. رائحة الليل تبعث الراحة في الصدر، أضف إلى ذلك كله أنك تسير برفقة سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم سلام، وأكرِم بها من نعمة.

قال رجل من القوم لسيدنا عامر من الأكوع وهو ذلك الحادي البسيط الذي تكلمنا عنه رضي الله عنهم جميعا : يا عامر!

ألا تسمعنا من هُنَيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً حدَّاء، فنزل يحدو بالقوم

اللهم لولا أنتَ ما اهتدَيْنا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا

فاغفر فداءً لك ما أبقينا وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

وأَلقِيَنْ سَكينةً علينا إنا إذا صِيح بنا أتَينا

وبالصياح عوَّلوا علينا ... ثم سكت.

وسكت الناس كلهم يتأملون جمال تلك الكلمات التي لا تخرج إلا من قلب مغموس بعبوديته لله سبحانه وتعالى، كيف جمع بين تذلّله لله - سبحانه وتعالى وإظهاره فقره وعجزه، وبين الفخر في نصرة القوم للحق، حتى فخره هذا كان ممزوجاً بتوكله على الحي القيوم.

هبت نسائم عَطرة، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع ، قال: «يرحمه الله» سبحان الله! أي بشارة تلك التي

هلت على سيدنا عامر - رضي الله عنه ومازال الجيش على الطريق، لمّا يصلْ بعدُ إلى حيث تظهر المعادن والنوايا. لقد كان من تلك الصفوة المميزة التي تجتهد في إخفاء نفسها، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرفه حتى سأل عنه. لقد تواضع ذلك الحدَّاء لله، ومن تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة. ما زال قلبه ينبض، وما هي إلا لحظات قليلة فلنسرع قليلاً .. لم أعد أطيق الانتظار أكثر. (لا راحة للمحب في الدنيا، إن أحس بالحجاب، بكى على البعد، وإن فتح له باب الوصل، خاف الطرد) (اللطائف، ابن الجوزي).

فيبكي إن نأَوْا شوقاً إليهم

ويبكي إن دَنَوا خوفَ الفِراقِ

خرج يهودي اسمُه (مَرحَب) داعياً للمبارزة، وقد طاف الكبر برأسه حتى أخذ يقول:

قد علمت خيبرُ أني مرحبُ

شاكي السلاح بطلٌ مجربُ

إذا الحرب أقبلت تلتهبُ

فبرز له سيدنا عامر مجيباً له:

قد علمت خيبرُ أني عامرُ

شاكي السلاحِ بطلٌ مغامرُ

توجه الاثنان، ولكن لكلٍّ وِجهةٌ هو مُوَلِّيها.

وجه سيدنا عامر - رضي الله عنه سيفَه ليضرب «مَرحباً» اليهودي، فصَدَّ مرحب الضربة بترسه بقوة شديدة أعادت السيف إلى سيدنا عامر، فدخل سيفُه في عين رُكبته جرح جرحاً بليغاً، نزف كثيراً، واستُشهد - رضي الله عنه.

فُتحت حصون خيبر، وقلاعُها بفضل الله - سبحانه وتعالى ثم بفضل الخطة العسكرية الذكية، وطريقة توزيع المقاتلين، واستغلال عنصر المباغتة.

رأى رسول صلى الله عليه وسلم سيدنا سلمة بن الأكوع يمشي وحيداً حزيناً، فأخذ بيده ليسأله عن حاله، فقال: «مالك؟» فقال سيدنا سلمة: فداك أبي وأمي .. زعموا أن عامراً حبط عمله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كذب من قالَه، إن له لأجرين - وجمع بين أصبعيه إنه لجاهِد مُجاهِد، قَلَّ عربي مشى بها مثله». وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. نحن لا نتكلم على مجرد مجاهد من المجاهدين، مع ما للمجاهدين من رفعة ومقام وأمن. نحن هنا نتكلم عن رجل تجاوز المجاهدين، ورفعه الله فوقهم، مع أنهم ظنوا أنه قد قُتل بسيفه، فظاهره لا يُفصح عنه وعن مقامه، فمقامه بين الناس ثانوي مهمش، لكنه عند الله عظيم، وطوبى له ولأمثاله. ما أروع ما قاله سيدنا علي رضي الله عنه: من كان ظاهره أرجح من باطنه، خفَّ ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره، ثقل ميزانه يوم القيامة.

يا أحياء القلوب ترحموا على ميت

يا سفراء احملوا رسالةَ مُحصَرٍ.

(ابن الجوزي) ويا أقدام الصبر احملي.

بقي القليل (ابن قيم الجوزية).

الفتوى

هيئة الشام الاسلامية

حكم استيفاء الحقوق من الأعداء بعد إعطائهم الأمان

السؤال:

نضطر في بعض المعارك أن نعطي الأمان لبعض الشبيحة أو جنود النظام، ثم نكتشف من خلال التحقيق أنهم قاموا بعمليات تعذيب وقتل للمدنيين، أو اغتصاب، أو أنهم من المجرمين السابقين وفي ذمتهم قصاص، فهل يجوز معاقبة هؤلاء على تلك الجرائم؟ أم يبقون على أمانهم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الأمان يفيد عصمة دم المحارب وماله، وعدم محاسبته على ما ارتكبه خلال الأعمال العسكرية من قتل وتدمير وأعمال هي من طبيعة الحرب وضرورتها؛ وأما الجرائم التي لا تتعلق بطبيعة الحرب فالأمان لا يمنع من معاقبته عليها، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولاً: إذا أعطى المسلمُ الأمانَ لأحد جنود النظام أو شبيحته فقد حرُم بذلك دمه وماله على جميع المسلمين، ولا يجوز التعرض له بأي أذى، ومن اعتدى عليه فانه آثم، ويُعَزَّر بما يناسب من العقوبة على اعتدائه، كما فصلنا في فتوى (حكم الاعتداء على من أعطي له الأمان وما جزاء ذلك ؟).

ثانياً: إذا تابَ أحد جنود النظام أو أُعطي له الأمان، فلا تتم محاسبته على الجرائم التي ارتكبها خلال الأعمال الحربية والتي هي من طبيعة الحرب، ولا يضمن شيئاً أتلفه من الأنفس والأموال مما وقع خلال القتال والاشتباك.

وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى- على أن جنايات البغاة والخوارج والمرتدين في الحرب: لا ضمان فيها.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله- في «الأم»: « قَدْ ارْتَدَّ طُلَيْحَةُ عَنْ الْإِسْلَامِ وَقَتَلَ ثَابِتَ بن أَقْرَمَ وَعُكَاشَةَ بْنُ مُحْصِنٍ ثُمَّ أَسْلَمَ فَلَمْ يُقَدْ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَلَمْ يُؤْخَذْ مِنْهُ عَقْلٌ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا». والقَوَدُ: القصاص، والعقل: الدية .

وعَنْ مَعْمَرٍ, قَالَ: أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ, أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ هِشَامٍ, كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنِ امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا, وَشَهِدَتْ عَلَى قَوْمِهَا بِالشِّرْكِ, وَلَحِقَتْ بِالْحَرُورِيَّةِ [الخوارج], فَتَزَوَّجَتْ, ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَائِبَةً, قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ, فَإِنَّ الْفِتْنَةَ الْأُولَى ثَارَتْ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِمَّنْ شَهِدَ

بَدْرًا كَثِيرٌ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُقِيمُوا عَلَى أَحَدٍ حَدًّا فِي فَرْجٍ اسْتَحَلُّوهُ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ. وَلَا قِصَاصٍ فِي قَتْلٍ أَصَابُوهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ. وَلَا يُرَدُّ مَا أَصَابُوهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ» أخرجه عبد الرزاق. (والمقصود بإصابة الفرج بتأويل القرآن: الحكم على الزواج وفسخه باجتهاد غير صحيح). وقال ابن تيمية رحمه الله- في «الفتاوى» بعد ذكر كلام الزهري السابق: «وَكَذَلِكَ قِتَالُ الْبُغَاةِ الْمُتَأَوِّلِينَ - حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِهِمْ - إذَا قَاتَلَهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ ، فَأَصَابُوا مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ نُفُوسًا وَأَمْوَالًا، لَمْ تَكُنْ مَضْمُونَةً عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ. وَكَذَلِكَ الْمُرْتَدُّونَ إذَا صَارَ لَهُمْ شَوْكَةٌ ، فَقَتَلُوا الْمُسْلِمِينَ وَأَصَابُوا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، كَمَا اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ: أَنَّهُمْ لَا يَضْمَنُونَ بَعْدَ إسْلَامِهِمْ مَا أَتْلَفُوهُ مِنْ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُتَأَوِّلِينَ وَإِنْ كَانَ تَأْوِيلُهُمْ بَاطِلًا. كَمَا أَنَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُتَوَاتِرَةَ عَنْهُ مَضَتْ بِأَنَّ الْكُفَّارَ إذَا قَتَلُوا بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَتْلَفُوا أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ أَسْلَمُوا لَمْ يَضْمَنُوا مَا أَصَابُوهُ مِنْ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ. وَأَصْحَابُ تِلْكَ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ كَانُوا يُجَاهِدُونَ، قَدْ اشْتَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ، فَعِوَضُ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى أُولَئِكَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ».

ثالثًا: أما الجرائم التي ارتكبها الجندي أو الشبيح مما لا يتعلق بالأعمال العسكرية الحربية، كالاغتصاب، وقتل المدنيين عمداً، والسرقة من بيوتهم، ونحو ذلك ، فهذه لا يمنع الأمان من استيفاء الحق فيها؛ «وَلَوْ أَعْطَاهُمْ السُّلْطَانُ أَمَانًا عَلَى مَا أَصَابُوا، كَانَ مَا أَعْطَاهُمْ عَلَيْهِ الْأَمَانُ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ بَاطِلًا، وَلَزِمَهُ أَنْ يَأْخُذَ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ إلَّا أَنْ يَدَعُوهَا». وقال: «وَأَمَانُ الْإِمَامِ فِي حُقُوقِ النَّاسِ بَاطِلٌ».وقال النووي رحمه الله- في «روضة الطالبين»: « فَإِذَا أَتْلَفَ بَاغٍ عَلَى عَادِلٍ أَوْ عَكْسُهُ فِي غَيْرِ الْقِتَالِ: ضَمِنَ قَطْعًا». وقال: «فَلَوْ أُتْلِفَ فِي الْقِتَالِ مَا لَيْسَ مِنْ ضَرُورَةِ الْقِتَالِ، وَجَبَ ضَمَانُهُ قَطْعًا». وقال ابن تيمية رحمه- في «الصارم المسلول»: «مَن حَلَّ قَتلُه لم يُعصم دَمُهُ بأمانٍ ولا عَهْدٍ، كَمَا لَو أَمَّن المُسلمُ مَنْ وَجَبَ قَتْلُه لِأَجلِ قَطْعِ الطَّريقِ وَمُحَارَبَةِ اللهِ وَرَسولِهِ والسَّعي في الأرضِ بالفسادِ المُوجِبِ لِلقَتلِ، أَو أَمَّنَ مَنْ وَجَبَ قَتْلُهُ لِأجلِ زِنَاه، أَوْ أَمَّنَ مَنْ وَجَبَ قَتْلُهُ لِأَجلِ الرِّدةِ ... ولا يَجُوزُ أَنْ يَعْقِدَ لَهُ عَقْدَ عَهْدٍ، سَواءً كَانَ عَقْدَ أَمَانٍ، أَوْ عَقْدَ هُدنَةٍ، أو عَقْدَ ذِمَّةٍ؛ لِأَنَّ قَتْلَهُ حَدٌّ مِنَ الحُدُودِ، وَلَيسَ قَتْلُهُ لِمُجَرَّدِ كُونِهِ كَافِرًا حَربيًا».

وعليه:إذا أعطى المجاهدون جنديًا من جنود النظام أو شبيحًا أمانًا ثم علموا أنَّ عليه قصاصًا قبل الحرب، أو أنَّه قد قتل مدنيين، أو اغتصب، أو ارتكب جنايةً خارج الأعمال الحربية، فيجوز عقوبته واستيفاء الحقوق منه، ولا يمنعهم الأمان من ذلك.

رابعـــاً: الأصل ألا يُعطى جنود النظام وشبيحته الأمان إلا في حال الحاجة لذلك، ويكون التعامل معهم وفق الأحكام الشرعية، كما سبق في فتوى (حكم إعطاء الأمان للشبيحة وجنود النظام).

نسأله سبحانه وتعالى أن ينصر إخواننا المجاهدين، وأن يقطع دابر المجرمين المفسدين، والحمد لله رب العالمين.

الداعية العالم
المربي الشيخ شوكت الجبالي

بقلم نجله الأستاذ: منتصر الجبالي

نقلاً عن موقع مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية الإلكتروني

ولد الشيخ شوكت بن حسن الجبالي رحمه الله تعالى في مدينة يافا في فلسطين المحتلة سنة ١٣٥١ هجرية ما يوافق ١٩٣٢م، ونشأ في أسرة كريمة يرعاها جده الشيخ عبد الله الجبالي إمام وخطيب جامع حسن بيك الكبير في منشية يافا، وقد تأثر في صغره بمنهج جده حتى جعل خلافته من أهم أهدافه، واعتنى جدَّه به لما وجد فيه من النجابة، فجعل يحثه على حفظ القرآن الكريم، حتى بلغ السنة الخامسة عشر من عمره فكان الاحتلال الغاشم المقيت لفلسطين، حيث كانت هجرته مع أبيه إلى غزة، وتوفي والده أمام عينيه في غارة إسرائيلية، فدبّت فيه روح الجهاد والمقاومة ضد المحتل الغاصب حيث التحق مع الفصائل الجهادية المشاركة من كافة الدول العربية والإسلامية. وبعد فترة من الجهاد والمقاومة تلقى رسالة من أمه الدمشقية تأمره فيها بالمجيء إلى دمشق، فاستجاب لطلب أمه التي ما كان يخالفها في صغيرة ولا كبيرة، ودفعت به أمه إلى الشيخ الداعية الكبير عبد الكريم الرفاعي في جامع زيد بن ثابت رحمه الله تعالى سنة ١٩٤٩م. تعلّقَ الشيخ شوكت بالشيخ عبد الكريم تعلق الولد بوالده، ولمس الشيخ منه الجد والاجتهاد ولم يعد يفارق المسجد، فحفظ في تلك الفترة كثيراً من المتون وقرأ شتى العلوم الشرعية على يد الشيخ عبد الكريم الرفاعي، ثم وجهه إلى الالتحاق بالمعهد الشرعي التابع للجمعية الغراء وتخرج به ونال شهادته، ثم انتسب إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق وتخرج منها سنة ١٩٦٨م، مع التزامه التام بدعوة الشيخ عبد الكريم الرفاعي حتى صار اليد المساعدة للشيخ مع صنوه ورفيق دربه الشيخ محمد عوض رحمه الله تعالى.

ونهضت هذه الدعوة المخلصة على يد الشيخين وكانا كفرسي رهان حباً وتألقاً عند الشيخ عبد الكريم، واستقطبت هذه الدعوة المباركة بإخلاصها ثلة من الطلبة التزموا بالقراءة وطلب العلم على الشيخ شوكت وهم اليوم من كبار الدعاة والخطباء والأئمة في مساجد دمشق وغيرها..

وفي تلك الأثناء عمل في مجال الطباعة ليحصل رزقه ورزق من يعول من إخوته وأهله، ثم انتسب إلى جامعة الأزهر ونال شهادة الدبلوم في تخصصه لتحضير الدراسات العليا..

ثم عاد إلى دمشق وأوكلت إليه مكتبة مشروع (موسوعة الفقه الإسلامي) في كلية الشريعة، فقام بتنميتها والعناية بها وهي التي أصبحت فيما بعد مكتبة الجامعة لكلية الشريعة ،وكانت تحوي الكتب المختلفة للعلوم الشرعية، وكان مكتبه في كلية الشريعة التابع لهذه المكتبة موئلاً لأهل العلم يجتمعون فيه ويتدارسون فيما بينهم، كما قام بشكل رسمي بتدريس مادة الحديث الشريف في جامعة دمشق..

خطب في عدة مساجد ودرّس في العديد منها ، إلى أن آلت إليه الخطابة و الإمامة في مسجد عبد الرحمن بن عوف في حي الشويكة بدمشق، فقام بتأسيس نهضة علمية في المسجد، ولا تزال هذه الدعوة قائمة إلى يومنا هذا ولله الحمد، تُخرِّج كل عام ثلة من الحفاظ والدعاة إلى الله تعالى. .

وبرع الشيخ في تدريس العلوم الشرعية وخاصة علم الفرائض، وتقلد عدة وظائف في وزارة الأوقاف تحت اسم مدرس فتوى ، وكان الدرع الحصين والمرجع الوحيد ونسيج وحده لدعوة مساجد زيد بن ثابت- والتي أسسها العلامة الشيخ الراحل عبد الكريم الرفاعي، خاصة في فترة حرجة أحاطت بهذه الدعوة المباركة .. عاش رحمه الله مربياً ناجحاً بعلم وعمل، متأثراً بالشيخ عبد الكريم الرفاعي، حيث جعله قدوته وأسوته وكان يقول عنه: إني أرى فيه شخص الصحابة، لما كان يراه من الشيخ من زهد وتواضع ولين جانب والمواظبة والمثابرة على طلب العلم، فكان يتمثل ذلك فيه حيث لم يثنه المرض الذي ألم به عن طلب العلم والتعليم فكان يقول: (حياة طالب العلم بالعلم والتعليم).

كان له عدة دروس يومية يعلم خلالها طلابه. حيث أقرأ الفقه الشافعي والحديث الشريف ومصطلحه وأصول الفقه وبرع في علم الفرائض. كما تأثر أيضاً بنخبة من أهل العلم والدعوة في عصره أمثال عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .

الذي تميّز بأسلوب خطابي مدهش يملك به الأسماع والقلوب، وربما كان والدي رحمه الله يحاكيه في أسلوب ونبرة خطابته وخاصة حينما كان يتوجه بكلامه إلى الشباب فيناديهم: يا معشر الشباب، ولشدة ما كان يهتم بهم لُقب (بخطيب الشباب). وكان يبلغ ذروة التأثير في خطبه ودعوته حينما يشتد به الحماس والانفعال وهو يتحدث عن وطنه الأم فلسطين، وحينما ينادي بحق العودة إليها، ويدعو إلى الإصلاح ولمّ الشمل بين الفصائل الفلسطينية، ويلهب المشاعر والأحاسيس نحو الود والمصالحة وتوحيد الكلمة وتأليف القلوب واجتماع الصف ونبذ الخلاف، وذلك في دروسه ومحاضراته التي كان يقيمها في المساجد التابعة للمخيمات الفلسطينية في دمشق.

تزوج من إحدى بنات وجيه من وجهاء دمشق المحبين لأهل العلم والعلماء وللشيخ عبد الكريم الرفاعي (من آل عجاج)، وأنجب منها ستة أولاد، أربعة ذكور وبنتين. وكان في بيته مثال الأب المربي حنواً وعطفاً، قام بتربية أولاده التربية الصالحة ورعاهم وتابعهم متابعة حسنة، يحمل مسؤولية بيته بخوف وتقوى الله عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

حجّ مع الشيخ عبد الكريم الرفاعي فكان خادماً ملازماً له أثناء حجه . .

أصيب رحمه الله تعالى في السنوات الأخيرة من حياته بمرض الربو الذي كان يشتد عليه بين الحين والآخر مما يضطره للذهاب إلى المستشفى بحالة إسعاف بالإضافة إلى مرض القرحة، وكان في كل ذلك صابراً محتسباً لا ينقطع عن دروسه وأعمال الدعوة إلا نادراً .

توفي رحمه الله تعالى على إثر أزمة شديدة من مرض الربو في شهر رجب الفرد سنة ١٤٠٩ للهجرة يوم الخميس مساءً، وصُلي عليه في مسجد بني أمية الكبير بعد صلاة الجمعة في جمع حاشد من أهل العلم والفضل ووجهاء دمشق ومحبيه وعارفيه، وأمّ الصلاة عليه فضيلة الشيخ الراحل صادق حبنكة الميداني، وتوالت كلمات الرثاء والتأبين في مسجد بني أمية، ودفن في مقبرة الباب الصغير في روضة علماء دمشق قرب مقام الشيخ العارف بالله الشيخ إبراهيم الغلاييني ومقام شيخه ومربيه الشيخ عبد الكريم الرفاعي عليهم جميعاً رحمة الله ورضوانه، وأقيم له مجلس العزاء في مسجد زيد بن ثابت بمشاركة طيبة من العلماء وأهل الفضل والخير والمسؤولين في الدولة وجمعٍ غفيرٍ من طلاب الشيخ ومحبيه .

دعـــوة للقـــراءة

روايـــة

«فوضـــى الفصـول»

للروائي محمد باقي محمد

الأديب محمد باقي محمد هو روائي وقاص سوري، له بصمات واضحة في المشهد الثقافي والأدبي السوري والعربي، عضو اتحاد الكتاب العرب، رئيس المكتب الفرعي لاتحاد الكتاب العرب في مدينة الحسكة، ترجمت بعض أعماله إلى البلغارية والروسية والكردية. ينشر نتاجه في الدوريات العربية والمحلية، صدر له: أغنية منتهية بالرصاص، (قصص ١٩٨٦).

عن اختفاء العامل يونس، (قصص ١٩٨٨)، الطوفان، (قصص ١٩٩١). فوضى الفصول (رواية، ١٩٩٧).

وروايته «فوضى الفصول» تُنبئ عن الثقافة العالية لدى الكاتب، ويبدو ذلك جلياً من خلال متعة الانتقال من فصل إلى فصل دون أن يشعر القارئ بالملل، وذلك لما تحمله الرواية من مشاعر مختلفة متدفقة؛ فمن طفولة، إلى شتاء، إلى خريف آخر، إلى النكسة... وفي فصل الطفولة تجد الراوي يتحدث بانسيابية وسلاسة عجيبة وهو ينهل من مخزون ذاكرة لاينضب، فيصور المكان والاحداث والشخوص بحروف كلماته التي تنساب بحرفية عالية وأداء رشيق. ومما يميز كاتبنا في روايته هذه الأسلوب الذي استخدمه في التصوير الدقيق لمدينته التي ينتمي إليها، فكأنما رسمها بحبر يتدفق من شرايين حنينه، ليبدع لنا عالماً يشتاقه القارىء بكل جوارحه.

من الروايـــــة:

وتروح الذاكرة الواهنة تسيح على شتات الكلمات عن الحوانيت الملأى بالرز والعدس والسمن والسكر والدخان والأقمشة والأطعمة والحلوى والحبال والفاكهة والخضار! مكسورة هي المعادلة داخل الذهن المنهزم، فأين من هذا كله قريتك الخالية من الحوانيت، تنتظر «أبا عبدو الحواج» انتظار العيد، أو الموسم، فإذا أقبل بعربته المغلقة، حاملاً للأطفال السكاكر، والمناديل المصنوعة في «الموصل» للنساء، والدخان للرجال، قفزت القلوب من الفرحة، وتراكض الأطفال من حوله يحلمون، فيما تهوّم الأصوات المتداخلة، لتتكسر على حواف البيوت ونتوءاتها! «وما أكثر العربات السيارة في المدينة ! بعضها كبير، وبعضها صغير!» يا إلهي! يقفز السؤال:

كيف يسير الناس في الدروب إذن؟! ولِمَ لا يملك أهل القرية عربات سيارة؟! تلوّح بيديك في الهواء، تطرد أسراب الأفكار والأسئلة الملحة، هذه المدينة قناص يقتنص اللحظات الهانئة من حياتك، وأبوك ما ينفك يقرأ في رأس أمك! «وشوارعها مغطاة بالإسفلت!» فلا وحل في الشتاء، ولا غبار في الصيف!وهكذا يسلبونك القرية! مدية فوق العنق، أو عنق تحت السكين! والأشياء الأليفة الحبيبة إلى القلب تنأى، القطيع، وبيت المؤونة حيث الطماطم اللامعة تراودك عن نفسها إثر زيارة الحوّاج، ورفاق الليالي العابثة المليئة بالصخب والمرح! معهم سرقت دجاج الأرملة «أم قاسم»، وانتحيتم ركناً نائياً، تأكلون اللحم، وتخفون الريش والعظام! اشتعلي أيتها الذاكرة، واستحضري العالم كله، أو انطفئي و اخمدي، فلقد تعب المهر الصغير! أتذكر ليلة كدنا نحرق محصول القرية؟ يسألك «إبراهيمو»، حتى لو نسيت، فإن العقاب الذي طالكم يبقى وشماً في الذاكرة! الثعلب الملعون جُنّ حينما أشعلتم النار في ذيله وطار ليلتها نحو الزرع! يتوهم المرء بأنه قد نسي! لكنه في لحظة خارجة عن الإرادة، يكتشف بأنه لم ينسَ شيئاً، ذلك أن المخزونات تندفع كطائر حبيس أطلق! وها أنتذا، مع رفاق اللهو، في طريقكم إلى بستان «أبي خليل»، معهم ذبحت البطيخ المسروق، ولم توفروا الشمّام والخيار، ومعهم يسوقك الشتاء إلى المدرسة غيمة باردة، تنتابها أحاسيس متضاربة، تراوح بين الوجل والترقّب والرهبة والفضول! يا للمدينة التي لم تكن تخطر في البال! كيف غمرت تلك البليّة عقل أبيك وأمك، وأصبحت شغلهما الشاغل!؟ هي تتساءل، وهو يجيب! هي تتخوّف من الخطو نحو المجهول، وهو يطمئنها، ويهدّئ بالها « الرزق على الله، والمثل يقول: (مَطرَحْ ما ترزق إلزقْ)، لن نموت من الجوع، ففيمَ خوفك؟! اللهُ خَلقَنا، وهو كفيل بإطعامنا! لن نخسر شيئاً من المحاولة».

يمكنك قراءة الرواية أو تحميلها من موقع رابطة أدباء الشام
www.odabasham.net

فيسبوك

عاصم مشوح

هل وعى إخواننا الساعون نحو المفاوضات مع «النظام» الدرس من غزة..

هل عرفوا قيمة القوة حينما تقترن بالحق..

هل سيسعون إلى رأب الصدع وترشيد الحركة الجهادية ورص الصفوف وبث الوعي وتقويم البندقية..

هل سنتعلم من هذه التجربة.. أم أننا سنضيع المزيد من الوقت في طريق الوهم..!

بارك الله لغزة انتصارها، ورضي عن سواعد وزنود مجاهديها. وسلك بنا سبيلهم قوة وحقا ورشدا وانتصارا..

عمر المرادي

طوبى لمن علم، وعمل بما علم، بأن التغيير يبدأ من عنده قبل غيره.

ياسين حمو

جاهل الدنيا ومنكر قوانينها لا ينتصر ولو تعلق بأستار الكعبة..

وجاهل الدين ومنكره لا يفوز في الآخرة ولو دانت له الدنيا..

عبد الرحمن جعفر الشرحوب

مَن مُنقِذي مِن صديق قد بُليتُ به .. مات الضميرُ به فاستعذب الهُونا

أَقولُ: إسلامُنا والشّامُ من لَهُما .. أَنخيهِ علَّ عروقَ الحِسّ يَجرينا

فلا أُسيلُ لهُ عِرْقاً ولا عَرَقاً .. ولا أهُزُّ به شَعْرا ولا جِينا

كم قد ندمتُ على أَمْسي بِصُحبَتِه.. وحالِ قلبٍ به قد بات محزونا

فليْسَ أنكدُ مِن عَيش الفتى ولهُ .. قَلبٌ شَجِيٌّ وأصحابٌ خليّونا

احمد منصور

بعد فضيحة التعاون الإسرائيلي الأميركي المبكر في دعم إيران عسكريا خلال حربها مع العراق التي بدأتها إسرائيل في العام ١٩٨١، وإعلان قادة إسرائيل أن ذلك من شأنه أن يقوض العراق والعرب، وقننتها الولايات المتحدة فيما عرف فيما بعد بفضيحة «إيران كونترا» التي جرت وقائعها بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦، بقيت نبرة العداء اللفظي المعلن بين أميركا وإيران كما هي، هتافات ضد الشيطان الأكبر في إيران وتهديدات لفظية أميركية لم تتجاوز حدودها، حتى أن إيران منذ أن بدأت برنامجها النووي حتى الآن لم تتجاوز الضغوط الأميركية الغربية عليها حدود المساومات اللفظية والتهديدات، دون أن تتم إعاقة البرنامج النووي أو تأخيره.

الدكتور فيصل القاسم

من مضحكات السياسة والإعلام أن كل عيون العالم مشدودة إلى عين العرب، مع العلم أن كوباني مجرد ناحية من نواحي حلب. لا ضير أبداً في التركيز على عين العرب، لكن حلب الأم ايضاً تتعرض للدمار.

ولا أحد ينتبه إليها إلا بشكل عابر.

فلماذا تركزون على الفرع وتتجاهلون الأصل؟

عبد الله زنجير

سألني أحدهم متى سننتصر ؟

أجبته: عندما نلتزم بشعارنا (هي لله هي لله لا للسلطة ولا للجاه)

د. علاء الدين ال رشي

ليس كل من تحدث عن الدين فهم وعرف الدين.

هناك من جعل من أقوال البعض ممن فسر الدين فوق قول الله وسنة نبيه صلوات الله وسلاماته عليه!!!

Altally Saleh

ليست مشكلة السوريين الجهل بمعنى قلة العلم....

إنما الكارثة هي الإعتقاد أنه هو من يفهم ويدرك الأحداث من زاوية وبعد نظر لا يستطيع الآخرون إدراكه....وعليه فمشورة ونصح الآخرين لي.....دليل جهلهم.....ليته يفهم أن هذا قمة الجهل

Rasheed Alissa

أقول وللمرة الألف إذا أردتم الوصول للحقيقة وعدم الوقوع في المصائب مرة أخرى ابتعدوا عن تقديس الأشخاص فدماء الناس ليست مجالا للتلاعب.

Molham Aldrobi

بينما الإعلام كله موجه لكوباني (عين العرب) ينفذ أسد مجازر أشد دناءة في كل أنحاء سورية، و يزيد خناقه على حلب، و الناس بين منشغل و عاجز.

لا تلوموا أمريكا فهي تعمل لمصالحها، لا تلوموا ايران فهي تعمل لمشروعها، لا تلوموا العرب فلا مشروع لهم به ينشغلون لوموا أنفسكم أيها الثوار على تشرذمكم الذي يذهب ريحكم ولوموني معكم فكلنا بحق أنفسنا و شعبنا ووطننا مقصرون.

Anas Mustafa Alwan

عندما يوقظك مرضك وقت الفجر فتصلي فاعلم انك في منحه.. وعندما تبقيك عافيتك نائما عن القيام لصلاة الفجر فاعلم انك مبتلى..